

## الإرادة لِكَيْ نُؤْمِنَ

المحاضرة ١٠: هل النعمة مُسَاعِدَةٌ؟

أ.ر. سي. سرول

في مُحَاذَرَةِ الْيَوْمِ، سَأَفْعَلُ شَيْئًا يَخْتَلِفُ قَلِيلًا عَنِ الْمُعْتَادِ. سَأَبْدَأُ بِامْتِحَانٍ قَصِيرٍ. وَأَسْأَلُكُمْ إِنْ كَانَ بِإِمْكَانِكُمْ تَحْدِيدُ صَاحِبِ الْمَقُولَةِ التَّالِيَةِ. سَأَقْرَأُ الْمَقُولَةَ: "فِي السُّقُوطِ، تَعَرَّضْتَ حُرِّيَّةَ إِرَادَةِ الْإِنْسَانِ مِنْ نَحْوِ الْخَيْرِ الْحَقِيقِيِّ لَيْسَ فَقَطْ لِلْأَذَى، أَوِ التَّشْوِيهِ، أَوِ الضَّعْفِ، أَوِ التَّقْوُسِ، أَوِ الْوَهْنِ، لَكِنَّهَا أُسْرَتْ، وَخَرِبَتْ، وَفَقِدَتْ أَيْضًا. وَصَارَتْ بَلَا قُوَّةٍ، إِلَّا إِذَا حَفَرَتْهَا النِّعْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ."

أَعْتَقِدُ أَنَّي إِذَا طَرَحْتُ هَذَا السُّؤَالَ عَلَى طُلَّابِي فِي كَلْبِيَّةِ الْإِلَهوتِ، وَطَلَبْتُ مِنْهُمْ تَحْدِيدَ هُوِيَّةِ قَائِلِهَا، لَا أَحَدَ مِنْهُمْ سَيَعْرِفُهُ، لِأَنَّ الشَّخْصَ الَّذِي كَتَبَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ هُوَ جِيمْسُ أَرْمِينْيُوسَ (James Arminius)، أَبُو الْأَرْمِينِيَّةِ. فَهَذَا التَّصْرِيحُ يَبْدُو أَوْعُظِيْنِيًّا وَكَالْفِينِيًّا وَمُضْلِحًا أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ تَصْرِيحٍ آخَرَ عَنْ طَبِيعَةِ إِرَادَتِنَا بَعْدَ السُّقُوطِ. وَهَذَا يُوضِّحُ أَمْرًا يَلْزَمُ أَنْ نَقُولَهُ فِي بَدَايَةِ حَدِيثِنَا الْيَوْمِ. فَإِنَّ مَا يَحْدُثُ عَادَةً فِي الْجِدَالَاتِ الْإِلَهوتِيَّةِ هُوَ أَنَّ الرَّأْيَ الْمُعَارِضَ يُسَاءُ التَّعْبِيرُ عَنْهُ، وَيَتَعَرَّضُ لِلتَّشْوِيهِ فِي نَظَرِ النَّاسِ.

لَا أَعْلَمُ كَمْ مَرَّةً سَمِعْتُ تَعْرِيفًا لِلْكَالْفِينِيَّةِ بِأَنَّهَا تُعَلِّمُ بَأَنَّ اللَّهَ يَخْتَارُ الْبَعْضَ بِشَكْلِ عَشْوَائِيٍّ لِلخَّلَاصِ، وَيَخْتَارُ آخَرِينَ لِلهَلَاكِ. وَأَنَّهُ يُدْخِلُ الْمُخْتَارِينَ رَغْمًا عَنْهُمْ، وَهُمْ يَصْرُخُونَ وَيَزُكُّونَ بِأَرْجُلِهِمْ، إِلَى الْمَلَكُوتِ، فِي حِينٍ يَمْنَعُ آخَرِينَ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ مِنْ دُخُولِ مَلَكُوتِهِ، بَيْنَمَا هُمْ يُرِيدُونَ بِشِدَّةِ الدُّخُولِ. هَذَا أَخْطَرُ تَشْوِيهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ لِلإِلَهوتِ الْإِصْلَاحِيِّ.

وَبِالْإِثْمِ، يُوصَفُ لَاهُوتُ أَرْمِينْيُوسَ أَحْيَانًا كَمَا لَوْ أَنَّ أَرْمِينْيُوسَ كَانَ بِيْلَاجِيًّا مُتَزَمًّا. وَبِالطَّبَعِ لَمْ يَكُنْ هَذَا صَحِيحًا. بَلْ فِي الْوَاقِعِ، فِي بَدَايَةِ حَيَاةِ أَرْمِينْيُوسَ، بَرَزَ بِاعْتِبَارِهِ لَاهُوتِيًّا مُضْلِحًا، فِي أَثْنَاءِ عَمَلِهِ فِي مُؤَسَّسَةِ لَاهُوتِيَّةِ مُضْلِحَةٍ فِي هُولَنْدَا. ثُمَّ خَاضَ نِزَاعًا جَادًّا مَعَ أَحَدِ زَمَلَائِهِ حَوْلَ رَأْيِ قَبْلِ السُّقُوطِ (supralapsarianism)، وَمَا يُسَمَّى بِالْكَالْفِينِيَّةِ الْمُتَطَرِّفَةِ.

وَفِي سِيَاقِ رَدِّهِ عَلَى زَمِيلِهِ، وَحِينَ احْتَدَمَ الْجَدَلُ، ابْتَدَأَ أَرْمِينْيُوسَ يَتَّبَعِدُ شَيْئًا فَشَيْئًا لَيْسَ فَقَطْ عَنِ الْكَالْفِينِيَّةِ الْمُتَطَرِّفَةِ، بَلْ أَيْضًا عَنِ الْكَالْفِينِيَّةِ الْكَلَّاسِيكِيَّةِ، كَمَا سَتَرَى.

لَكِنَّهُ عَلَّمَ بِالْفِعْلِ بِأَنَّهُ فِي السُّقُوطِ، تَأَثَّرَتْ الْأَبْعَادُ الثَّلَاثَةُ كُلُّهَا لِطَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ الرُّوحِيَّةِ بِشَكْلِ شَدِيدٍ. وَنَتِيجَةً السُّقُوطِ، أَصْبَحَ لِلْإِنْسَانِ مَا دَعَاهُ أَرْمِينْيُوسَ "ذَهْنٌ مُظْلِمٌ"، وَ"عَاطِفَةٌ مُنْحَرِفَةٌ"، وَ"إِرَادَةٌ عَاجِزَةٌ". وَعَجَزَ الْإِرَادَةُ وَظُلْمَةُ

الذهن والنحراف القلب، هذه جميعها تُشكّل مع الموت الروحي، كما يقول الكتاب المقدس إننا أموات بالذنوب. وفي تعليق على ذلك، قال أرمينيوس إن هذا الموت بالذنوب معناه أننا لسنا أحراراً أخلاقياً لنفعل أي صلاح، ما لم يُحررنا الله أولاً. ولهذا، فالخطوة الأولى من فدايتنا تتوقف على نعمة الله المحررة.

أوضح أرمينيوس هذا المفهوم عن نعمة الله المحررة من خلال ما دعاه "النعمة الوقائية". سبق أن رأينا ذلك بالفعل في محاضرة أخرى. والترجمة الأكثر شيوعاً لهذا المفهوم هي تعبير "النعمة المسبقة".

حين نستعمل كلمة "وقائية" في لغتنا العامة الحديثة، نقصد بها "منع حدوث شيء ما". لكن ليس هذا ما قصدّه أرمينيوس بكلمة "وقائية" في مصطلح "النعمة الوقائية". لكنه استخدم مصطلح "النعمة الوقائية" بالطريقة التي كان يفهم بها في علاقته بأصله اللاتيني. "preventing"، أو "prevenient"، فبادئ الكلمة *pre* معناها "قبل"، و"*venio*" ما معناها؟ "فيني فيدي فينتشي" (*Veni vidi vici*) - "أتيت، ورأيت، وهزمت". رأيت فميصاً مؤخراً مكتوب عليه: "فيني فيدي فيجي" (*Veni vidi veggio*) - أي "أتيت، ورأيت، وتناولت سلطة". نعلم أن "فيني" معناها "أتيت". إذن، "النعمة المسبقة" هي نعمة تأتي قبل شيء ما. رأى أرمينيوس أن عمل النعمة الإلهية هو شرط مسبق أساسي لتحرير النفس من الموت الروحي. إذن، النعمة، والنعمة المسبقة التي تحدثنا عنها هنا، تسبق الرجوع إلى الله. وهي يجب أن تسبقه حتى يحدث الرجوع إلى الله.

في حديثنا عن نعمة الله، هناك من يميزون بين النعمة الداخلية والنعمة الخارجية، أو دعوة الله الداخلية ودعوة الله الخارجية. والبعض يحضرون نعمة الله فيما يفعله الله خارجنا، عندما يعطينا كلمته، ويظهر لنا الحق، ويدعوننا، ويجذبنا، ويثبنا بالمسيح إليه. لكن هذه المساعدة من النعمة تظل خارج نفوسنا. وهذا قد نسميه بالنعمة الخارجية. أما النعمة الداخلية فمعناها أن يفعل الله شيئاً في داخلنا.

من المهم أن ندرك أن أرمينيوس اعتبر أن نعمة الله التي بها يدعو الخطاة إلى التغيير ليست قاصرة على عمل خارجي للروح القدس، بل بحسب أرمينيوس، تعمل النعمة في الداخل. وبما أنه علم بذلك، فهو كان متفقاً مع أوغسطينوس، ولوتر، وكالفن، في حديثهم عن عمل الله الداخلي.

لكنه تابع مدلياً بالملاحظة التالية، التي تبدو متناقضة تماماً مع المقولة الأولى التي ذكرتها. فقال: "غير المؤمنين جميعهم يتمتعون بحرية الإرادة، وهم قادرون أن يقاوموا الروح القدس. فبإمكان الشخص أن يرفض النعمة وألا يفتح الباب، أو أن يفتح الباب لله الذي يفرغ على باب قلبه". إذن، مع أن النعمة التي نرجع بها إلى الله هي، بحسب أرمينيوس، داخلية، لكن يمكن مقاومتها.

إِذْنًا، نَرَى هُنَا صُورَةً لِلإِنْسَانِ السَّاقِطِ الْمُسْتَعْبِدِ لِلخَطِيئَةِ، وَالْعَاجِزِ عَنِ تَغْيِيرِ نَفْسِهِ أَوْ مُيُولِ قَلْبِهِ لِيفْعَلَ أُمُورَ اللَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ ذَاتِهِ. فَهُوَ يَحْتَاجُ أَنْ تَدْخُلَ النِّعْمَةُ إِلَى نَفْسِهِ. وَهَذِهِ النِّعْمَةُ تَعْمَلُ فِي دَاخِلِهِ. لَكِنْ، كَيْ يَرْجِعَ هَذَا الإِنْسَانُ إِلَى اللَّهِ، يَظَلُّ عَلَيْهِ أَنْ يُقَدِّمَ اسْتِجَابَةً إِيْجَابِيَّةً لِعَمَلِ النِّعْمَةِ وَالْأَلَّا يَرُفُضَهُ. وَهَذِهِ النِّعْمَةُ قَوِيَّةٌ بِمَا يَكْفِي لِرُجُوعِهِ إِلَى اللَّهِ، لَكِنَّهَا لَيْسَتْ قَوِيَّةً لِدرَجَةِ أَنْ تَعْمَلَ مِنْ ذَاتِهَا، فَهِيَ لَا تَزَالُ تَتَطَلَّبُ تَحَاوُبًا دَاخِلِيًّا مِنَ الشَّخْصِ الَّذِي يَسْتَقْبِلُهَا.

وَخِلَالَ وَصْفِ هَذِهِ الْعَمَلِيَّةِ الَّتِي تَجْرِي دَاخِلَ النَفْسِ، قَالَ أَرْمِينْيُوسُ إِنَّ نِعْمَةَ التَّجْدِيدِ كَافِيَةٌ لِلرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ. فَهِيَ كُلُّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الإِنْسَانُ لِيتَحَرَّرَ مِنَ المَوْتِ الرُّوحِيِّ وَمِنَ العُبُودِيَّةِ الأَخْلَاقِيَّةِ، وَهِيَ حَتْمًا أَمْرٌ نَحْنُ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ، وَلَا يُمَكِّنُنَا التَّحَرُّرُ بِدُونِهِ. وَالنِّعْمَةُ الَّتِي يُعْطِيهَا اللَّهُ لِلنَّاسِ كَافِيَةٌ. وَهَكَذَا، اسْتَخْدَمَ اللَّفْظَ "كَافِيَةٌ". فَهِيَ كُلُّ مَا يَلْزَمُ لِتَمِيمِ الْعَمَلِ. لَكِنَّهَا لَيْسَتْ فَعَالَةً تِلْقَائِيًّا، بِمَعْنَى أَنَّهَا لَا تُحَدِّثُ دَائِمًا التَّغْيِيرَ أَوْ التَّجْدِيدَ.

فِي هَذَا الشَّانِ، نُلَاحِظُ التَّبَايُنَ الشَّدِيدَ بَيْنَ أَرْمِينْيُوسُ، وَأَوْغُسْطِينُوسُ، وَبَيْنَ مَنْ اتَّبَعُوا التَّفْلِيدَ الأَوْغُسْطِينِيَّ، مِثْلَ لُوتَرُ وَكَالْفِين. يَصِفُ الكَالْفِينِيُونُ كَثِيرًا دَعْوَةَ اللَّهِ بِأَنَّهَا "دَعْوَةٌ فَعَالَةٌ"، بِمَعْنَى أَنَّهُ حِينَ يُغَيِّرُ اللَّهُ مُيُولَ القَلْبِ بِعَمَلِ الرُّوحِ القُدْسِ فِي التَّجْدِيدِ، يُتِمُّ الرُّوحَ مَا يَشَاءُ، بِوَسِطَةِ هَذَا العَمَلِ الإِلَهِيِّ وَالْفَائِقِ لِلطَّبِيعَةِ دَاخِلَ النَفْسِ. إِذْنًا، هَذَا هُوَ الفَرْقُ الأَسَاسِيُّ بَيْنَ اللَّاهُوتِ المُصْلِحِ الكَلَّاسِيكِيِّ وَبَيْنَ أَرْمِينْيُوسُ. فَاللَّاهُوتُ الإِصْلَاحِيُّ يُعَلِّمُ بِأَنَّ نِعْمَةَ التَّجْدِيدِ فَعَالَةٌ. فَهِيَ دَاخِلِيَّةٌ وَفَعَالَةٌ أَيْضًا. فِي حِينِ يَرَى أَرْمِينْيُوسُ أَنَّهَا دَاخِلِيَّةٌ، لَكِنْ يُمَكِّنُ مَقَاوِمَتَهَا. وَهِيَ لَيْسَتْ فَعَالَةً بِالضَّرُورَةِ.

ثُمَّ تَابِعَ قَائِلًا إِنَّهُ إِنْ لَمْ يَقْبَلِ الإِنْسَانُ هَذِهِ النِّعْمَةَ المُسَبَّقَةَ، وَالكَافِيَةَ، وَبِالتَّالِي لَمْ يَتَغَيَّرْ، يَقَعُ اللُّومُ عَلَى الإِنْسَانِ وَحَدَهُ. أَتَذْكُرُونَ كَيْفَ انْدَلَعَ هَذَا الجَدَلُ فِي الأَسَاسِ بَيْنَ بِيلاجِيُوسُ وَأَوْغُسْطِينُوسُ؟ انزَعَجَ بِيلاجِيُوسُ مِنْ صَلاةِ أَوْغُسْطِينُوسُ القَائِلَةِ: "يَا رَبُّ، أَعْطِ مَا تَأْمُرُ بِهِ". وَقَالَ بِيلاجِيُوسُ إِنَّهُ إِنْ كَانَتِ النِّعْمَةُ صُرُورِيَّةً مِنْ يَدِ اللَّهِ حَتَّى نُؤَدِّي وَاجِبَتَنَا، لَنْ يَكُونَ اللَّهُ عَادِلًا إِذَا طَالَبَ البَشَرَ بِأَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَيَتَّبِعُوهُ، إِذَا كَانَ اسْتِيفَاءُ هَذَا المَطْلَبِ يَسْتَلْزِمُ تَدْخُلَ اللَّهِ لِمُسَاعَدَتِهِمْ.

اِخْتَلَفَ أَرْمِينْيُوسُ مَعَ بِيلاجِيُوسُ فِي الرَأْيِ، بَلْ وَقَالَ إِنَّهُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُسَاعِدَنَا لِئَكُونَ أُنْرَارًا، لَكِنَّ المُسَاعَدَةَ الَّتِي يُقَدِّمُهَا لَيْسَتْ فَعَالَةً لِدرَجَةِ إِحْدَاثِ الفَارِقِ النِّهَائِيِّ فِي خِلاصِ الإِنْسَانِ أَوْ عَدَمِهِ.

الفِكْرَةُ نَفْسُهَا الَّتِي أَثَارَتْ قَلْقَ بِيلاجِيُوسُ، أَثَارَتْ قَلْقَ أَرْمِينْيُوسُ أَيْضًا، مَعَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا تَعَامَلُ مَعَ المُشْكَلَةِ بِطَرِيقَةٍ مُخْتَلِفَةٍ. فَقَدِ انْتَابَ كِلَاهُمَا قَلْقَ حِيَالَ عَدْلِ اللَّهِ، وَلَا سِيَّمَا فِي عَلاَقَتِهِ بِعَقِيدَةِ الإِخْتِيَارِ. فَإِذَا كَانَ اللَّهُ يَمْنَحُ نِعْمَةً فَعَالَةً لِلتَّغْيِيرِ، وَالتَّحْرِيرِ، وَالتَّجْدِيدِ، فَقَطْ لِلبَعْضِ دُونَ آخَرِينَ، ففِي النِّهَائِيَّةِ، اللَّهُ وَلَيْسَ الإِنْسَانُ هُوَ مَنْ يُنْسَبُ

لَهُ الْفَضْلُ فِي خَلَاصِنَا، لَكِنَّهُ أَيْضًا هُوَ مَنْ يَتَلَقَّى اللَّوْمَ لِأَجْلِ عَدَمِ خَلَاصِنَا. إِذَنْ، فِي مُحَاوَلَةِ لِحْمَايَةِ اللَّهِ مِنْ أَيِّ اتِّهَامٍ أَوْ تَلْمِيحٍ بِالظُّلْمِ، نَسَبَ أَرْمِينْيُوسُ إِلَى الْإِنْسَانِ السَّاقِطِ الْقُدْرَةَ، إِمَّا عَلَى التَّعَاوُنِ مَعَ النِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لَهُ، أَوْ رَفْضِهَا. إِذَنْ، مَرَّةً أُخْرَى، بِحَسَبِ أَرْمِينْيُوسُ، يُمَكِّنُ مَقَاوِمَةَ نِعْمَةِ التَّجْدِيدِ.

نُضِيفُ تَعْلِيْقًا مُثِيرًا لِلْإِهْتِمَامِ فِي هَذَا الشَّانِ. بِسَبَبِ هَذَا الْفِكْرِ، الَّذِي يَقُولُ إِنَّهُ يُمَكِّنُ مَقَاوِمَةَ النِّعْمَةِ، أَمَكَّنَهُ الْقَوْلُ إِنَّهُ فِي حَالَةٍ عَدَمِ التَّغْيِيرِ، يَقَعُ اللَّوْمُ عَلَى الْإِنْسَانِ. لَكِنْ لَيْسَ الْعَكْسُ. فَلَمْ يَقُلْ أَرْمِينْيُوسُ إِنَّهُ إِذَا خَلَصَ أَحَدُهُمْ، لِأَنَّهُ لَمْ يُقَاوِمِ النِّعْمَةَ، وَلِأَنَّهُ قَدَّمَ الْإِسْتِجَابَةَ السَّلِيمَةَ لِتِلْكَ النِّعْمَةِ، لَمْ يَتَوَصَّلْ إِلَى الْإِسْتِنْتَاجِ بِأَنَّهُ إِنْ اتَّخَذَ أَحَدُهُمُ الْقَرَارَ الصَّائِبَ، يَكُونُ صَالِحًا. لَكِنَّ السُّؤَالَ الَّذِي أَطْرَحُهُ، وَالَّذِي طَرَحَهُ نَقَادُ آخَرُونَ لِلْأَرْمِينِيَّةِ هُوَ: إِذَا كَانَ أَمَامَكَ خِيَارَانِ، إِمَّا قُبُولُ هَذِهِ النِّعْمَةِ أَوْ رَفْضِهَا. وَإِنْ كَانَ رَفْضُهَا خَطَأً وَاضِحًا، فَلِمَ إِذَنْ لَا يَكُونُ قُبُولُهَا فَضِيلَةً؟ يَعُودُ عَدَمُ تَوَصُّلِ أَرْمِينْيُوسُ إِلَى هَذَا الْإِسْتِنْتَاجِ، بِرَأْيِي، إِلَى فَهْمِهِ لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ الَّذِي يَمْنَعُ الْإِنْسَانَ مِنْ أَيِّ افْتِحَارٍ بِنَفْسِهِ فِي قِصَّةِ الْفِدَاءِ بِأَكْمَلِهَا. فَهُوَ كَانَ بِالتَّأَكِيدِ فَطِنًا بِمَا يَكْفِي لِيُذَكِّرَ أَنَّهُ إِنْ كَانَتْ هُنَاكَ آيَةٌ فَضِيلَةٌ فِي هَذَا الْقُبُولِ، فَسَيَكُونُ لَدَى الْخَاطِئِ مَا يَدْعُوهُ لِلْإِفْتِحَارِ.

وَكَيْ يُبَيِّنَ أَرْمِينْيُوسُ فَفْرَ الْحَالَةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَعِظَمَ دَوْرِ النِّعْمَةِ فِي فِدَائِنَا، قَدَّمَ تَشْبِيْهًا شَهِيْرًا، لِيُوضِّحَ رَأْيَهُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ. فَرَوَى قِصَّةَ غَنِيٍّ وَمُتَسَوِّلٍ. كَانَ الْمُتَسَوِّلُ مُعْدَمًا، يَعِيْشُ فِي بُؤْسٍ تَامًا. وَكَانَ عَاجِزًا تَمَامًا عَنِ تَحْسِينِ وَضْعِهِ الْمَادِّيِّ. فَلَمْ تَكُنْ لَدَيْهِ سِوَاءِ الْأَدْوَاتِ أَوْ الْقُدْرَةِ لِفِعْلِ ذَلِكَ. فَجَاءَ إِلَيْهِ رَجُلٌ غَنِيٌّ، وَمَنَحَهُ مَجَانًا هَدِيَّةً قِيْمَةً لِلْعَايَةِ، يُمَكِّنُهَا أَنْ تُغْنِيَهُ هَذَا الْمُتَسَوِّلُ وَتُحَرِّرَهُ مِنْ بُؤْسِهِ. فَقَدَ جَاءَ الْغَنِيُّ، وَقَدَّمَ لِلْمُتَسَوِّلِ كُلَّ مَا كَانَ يَتَمَنَّاهُ لِلْخُرُوجِ مِنْ بُؤْسِهِ. وَقَدَّمَ الْغَنِيُّ هَذِهِ الْهَدِيَّةَ الرَّائِعَةَ لِلْمُتَسَوِّلِ مَجَانًا وَدُونَ مُقَابِلٍ. لَكِنْ كُلُّ مَا كَانَ عَلَى الْمُتَسَوِّلِ فِعْلُهُ لِيَحْصَلَ عَلَى الْهَدِيَّةِ هُوَ أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ وَيَقْبَلَهَا. فَهُوَ لَمْ يَكْسِبْهَا بِجَهْدِهِ، وَلَمْ يَحْصُلْ عَلَيْهَا بِسَبَبِ آيَةٍ فَضِيلَةٍ فِيهِ، أَوْ بِسَبَبِ مُمَارَسَتِهِ لِآيَةٍ قُوَّةٍ. فَهُوَ عَاجِزٌ عَنِ تَغْيِيرِ حَالَتِهِ دُونَ هَدِيَّةِ الْغَنِيِّ. أَرْجُو أَنْ تُتَابَعُوا مَعِي. لَكِنْ فِي النِّهَايَةِ، لَا يَزَالُ عَلَيْهِ أَنْ يَفْتَحَ يَدَهُ وَيَقْبَلَ الْهَدِيَّةَ. يَظَلُّ بِإِمْكَانِ الْمُتَسَوِّلِ أَنْ يَكُونَ سَعِيدًا بِبُؤْسِهِ، أَوْ مُتَكَبِّرًا، لِدَرَجَةِ أَنْ يَرْفُضَ مُسَاعَدَةَ وَإِحْسَانَ الْغَنِيِّ. فَبِإِمْكَانِهِ مَقَاوِمَةُ الْهَدِيَّةِ، وَالْإِمْتِنَاعُ عَنِ مَدِّ يَدِهِ، رَافِضًا هَذِهِ الْعَطِيَّةَ الرَّائِعَةَ الْمُقَدَّمَةَ لَهُ.

فِي الْأَوْسَاطِ الْأَرْمِينِيَّةِ الْمُعَاَصِرَةِ، نَسْمَعُ تَشْبِيْهَاتٍ مُمَازِلَةً لِلْحَالَةِ الْبَشَرِيَّةِ. أَسْمَعُ اثْنَيْنِ مِنْهَا بِصُورَةٍ مُتَكَرِّرَةٍ. التَّشْبِيْهُ الْأَوَّلُ يَصِفُ الْإِنْسَانَ بِأَنَّهُ فِي حَالَةٍ مِنَ الْبُؤْسِ الشَّدِيدِ، وَبِأَنَّهُ يُشْبِهُ شَخْصًا يُعَانِي مِنْ مَرَضٍ مُمِيتٍ، وَيَحْتَضِرُ. وَهُوَ عَاجِزٌ تَمَامًا عَنِ مُعَالَجَةِ نَفْسِهِ. وَكَيْ يَتَعَاْفَى، لَا بُدَّ أَنْ يَتَنَاوَلَ دَوَاءً يُمَكِّنُهُ عِلَاجَ مَرَضِهِ. فَأَحْضَرَ إِلَيْهِ الدَوَاءَ، وَمَعَهُ ضَمَانٌ بِالشِّفَاءِ. لَكِنَّ هَذَا الشَّخْصَ أَضْعَفُ حَتَّى مِنْ أَنْ يُمَسِكَ بِالدَوَاءِ وَيَشْرَبَهُ بِمُفْرَدِهِ. فَعَلَى أَحَدِهِمْ أَنْ يَسْكُبَ الدَوَاءَ فِي مِلْعَقَةٍ، وَيُقَرَّبَهُ مِنْ شَفْتِي هَذَا الشَّخْصِ الْوَاهِنِ لِلْعَايَةِ. لَكِنْ، يَظَلُّ عَلَيْهِ أَنْ يَفْتَحَ فَمَهُ وَيَتَنَاوَلَ الدَوَاءَ.

والتشبيه الثاني يتعلّق بشخص يغرق، وقد غاص في المياه للمرّة الثالثة. فهو لا يجيد السباحة، وحالته ميؤوس منها، وهو على وشك الموت. وقد غاص في الماء، ولم يتبقّ فوق السطح سوى يده. ويحب أن يلقي أحدهم بطوق نجاة، بشكل صحيح، قريباً من يده. لكن، يظلّ على هذا الشخص أن يمسك بطوق النجاة. عبّر بيلي جراهام عن الأمر كالتالي: "يفعل الله ٩٩٪ من الأمر، لكنّ نسبة ١٪ المتبقية متروكة للخاطئ".

أما الرأي المصلح، فيقول قطعاً إنه لم يقدّم دواءً لإنسان يختصر، وإنّما قدّمت القيامة لإنسان مات بالفعل. وتشبيه الأمر بشخص يغرق لا يعكس النظرة الكتابية عن الإنسان الميّت بالذنوب والخطايا. فذلك الشخص ميّت كالخجر في قاع المحيط. والوسيلة الوحيدة لإنقاذه هي أن يعوض الله في المياه، وينتشله، ويُعطيه قبلة الحياة، ليعيده إلى الحياة. إذن، يتمحور النزاع حول نسبة ١٪، أو ذلك القدر الضئيل من القدرة البشرية.

بعد وفاة أرمينيوس في عام ١٦٠٩، وفي العام التالي، حاصّ بعض تلاميذه جدلاً دُعياً بالجدل الريمونسترانتي (Remonstrant Controversy)، في هولندا، حيث أبدأ الريمونسترانتيون آنذاك خمسة اعتراضات على التعليم المصلح. وهذه هي الاعتراضات الخمسة. ففي ردهم على الكالفينية الكلاسيكية، قدّموا خمس أطروحات أساسية، وهي: (١) يختار الله البشر بناءً على معرفته المسبقة، وبناءً على إيمانٍ متوقّع. فهو يختار الذين يعلم مسبقاً أنّهم سيتفعلون إيجابياً مع عرض النعمة. (٢) مات المسيح لأجل جميع البشر. وكان الغرض من الكفارة هو خلاص الجميع. لكن فقط الذين يتعاونون مع هذه النعمة يخلصون بالفعل. (٣) الإنسان فاسد لدرجة تجعل النعمة ضرورية ضرورة مطلقة. (٤) يمكن مقاومة النعمة. (٥) مسألة إذا كان الشخص الذي نال الفداء يمكن أن يفقد خلاصه، أو ما إذا كان يُثابَر في الإيمان، هي مثار شك.

هذه هي التصريحات الخمسة الكلاسيكية التي أدلى بها الريمونسترانتيون. أدّى ذلك إلى انعقاد سنودس دورث في عام ١٦١٨، حيث أدينّت هذه الأطروحات الخمس جميعها. وفي سياق الردّ على الريمونسترانتيين، وذلك الجدال التاريخي الذي انتهى في سنودس دورث، نشأت المبادئ الخمسة الشهيرة للكالفينية. وهذه المبادئ الخمسة، وهي الفساد الكلي، والاختيار غير المشروط، والكفارة المحدودة، والنعمة التي لا تقاوم، ومثابرة القديسين، وضعت في مقابل رأي أتباع أرمينيوس في الجدال الرومنسترانتي، في أوائل القرن السابع عشر.

الدكتور أ. سي. سبزل هو مؤسس هيئة خدمات ليجونير، وكان أحد رعاة كنيسة القديس أندرو ( St. Andrews Chapel ) في مدينة ساتفورد بولاية فلوريدا، كما كان أول رئيس لكلية الكتاب المقدس للإصلاح ( Reformation Bible College ). وهو مؤلف أكثر من مائة كتاب، بما في ذلك "كلنا لاهوتيون" و"أدهشني الألم".